تحليل شرح روايات فضائل ازواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
ـ كتاب فتح الباري لأبن حجر العسقلاني إنموذجاً ـ

الاستاذ الدكتور
صالح جبار القريشي
جامعة الكوفة – كلية الفقه

المدرس المساعد
حيدر توفيق كاظم وادي
جامعة الكوفة – مركز دراسات الكوفة

تحليل شرح روايات فضائل ازواج النبي (ﷺ) ـ كتاب فتح الباري لأبن حجر العسقلاني إنموذجاً ـ

Analysis of the Explanation of the Narrations of the Virtues of the Prophet's Wives -The book Fath al-Bari by Ibn Hajar al-Asqalani is an example

الاستاذ الدكتور
صالح جبار القريشي
جامعة الكوفة – كلية الفقه

Prof. Dr. Salih Jabbar Al-Qura`ishy
University of Kufa - College of Jurisprudence

المدرس المساعد
حيدر توفيق كاظم وادي
جامعة الكوفة – مركز دراسات الكوفة

Haider Tawfeeq Kadhim Wadi
University of Kufa – kufa studies center

خلاصة البحث

تبين من خلال البحث النتائج الاتية :

١-بينت الدراسة أن ابن حجر لم يكُن حيادياً في ذكره لمراسيم زواج النبي (ﷺ) من السيدة خديجة، فقد أوجز فيها كثيراً ولم يذكر خُطبة أبي طالب في مراسيم الزواج على الرغم من أن مراسيم خطبة النبي من خديجة ترفع من شأنه ومقامه حتى وهو في ريعان شبابه، بينما خطبته (ﷺ) من السيدة عائشة لا ترفع من شأنه (ﷺ). كما أجاد ابن حجر في ما ذهب اليه في معنى البيت وهي تدلُ على فطنتهِ وقراءتهِ للألفاظ بصورة مختلفة عما سبقه اليه من الشُراح.

٢-بينت الدراسة وهنَ نظرية عدالة الصحابة التي يتمسك بها أهل السنة، وذلك بدليل الأحداث المأساوية التي حدثت بين كبار الصحابة لاسيما السابقين منهم إلى الإسلام والتي أدت إلى قتلِ الخليفة الثالث وحربِ الجمل، كما بينت الدراسة أن ابن حَجَر قد اساءَ في أثناء شرحه لبعضِ روايات فضائل الصحابة إلى النبي الاكرم (ﷺ) بصورة غير مباشرة يمكن التوصل

اليها من طريق التتبع والتحليل، كما هو الحال في شرحهِ لحديث ضياع العقد.

٣-اثبتت الدراسة أن التمذهب كان له اثرٌ كبير في شرح ابن حَجَر لبعض الروايات كما هو الحال في ادعائه أن السيدة عائشة كانت متأولة في الجمل وكان هدفها اخذ القصاص من قتلة عثمان بن عفان، فلو نظر للرواية نظرة حيادية بعيدة عن التعصب والتمذهب لتوصل الى غير ذلك.

الكلمات المفتاحية : شرح ، خديجة ، عائشة ، ابن حجر العسقلاني

Conclusion

The following results were found in the research:

1 - The study showed that Ibn Hajar was not neutral in his mention of the decrees of the marriage of the Prophet of Mrs. Khadija, it was summarized very much and did not mention the sermon of Abu Talib in the marriage ceremonies, although the decrees of the speech of the Prophet of Khadija raises his position and even in The first of his youth, while his sermon of Mrs. Aisha does not lift up. As Ibn Hajar said in what he went in the meaning of the house and it shows the Patna and read the words differently than the previous one of the commentators.

2 - The study showed the theory of the justice of the Companions held by the people of the year, as evidenced by the tragic events that took place between the senior companions, especially those who preceded them to Islam, which led to the killing of the third Caliph and the war of the camel, as the study showed that Ibn Hajar had been abused during the explanation of some novels The virtues of the Companions to the Noble Prophet indirectly can be reached by tracking and analysis, as in his commentary on the loss of the contract.

3 - The study proved that the doctrine had a significant impact on the explanation of Ibn Hajar for some accounts, as in his claim that Mrs. Aisha was in the camel and was intended to take the punishment of the killers of Uthman ibn Affan, if the novel looked neutral view away from intolerance and go to reach that.

key words: Explanation, Khadija, Aisha, Ibn Hajar al-Asqalani

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف خلقه محمد بن عبد الله وعلى ال بيته الطيبين الطاهرين ورحمة الله وبركاته.

اما بعد : لم يقُم العُلماء بتصنيف المؤلفات في علمِ شرح الحديث في بادئ الامر كونهم كانوا متجهين الى جمع الحديث وتدوينه، ولقربِهم من عصرِ النبوة، وعدم فشو اللحن فيهم، بيّدَ إن

ابتعاد زمن النص وهجر الناس لكثير من ألفاظ اللغة واعتناق كثير من غير العرب الإسلام ادى إلى فشو اللحن وعدم فهم الدلائل الفهم الصحيح؛ فانبرى كوكبة من العلماء – جزاهم الله خيراً – إلى بيان مواضع اللحن وحذفه وإلى شرح دلائل كثير من الأحاديث الشريفة. ولعل ابرز رواد هذه الكوكبة ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) الذي انبرى إلى تأليف كتاب (فتح الباري بشرحِ صحيح البخاري). ومن كُتُب هذا المُصنَف كتاب (فضائل الصحابة) الذي يُعد واحداً من أهم موارد كتاب فتح الباري،

لذا فقد تناول ابن حجر احاديث فضائل الصحابة من خلال شرحه لهذا الجامع، بطرق لم يُصب في بعضها، ووجه المعنى في بعض شروحه لفضائل بعض الصحابة إلى توجيهات تعطي فضائل عظمى للصحابي وفي المقابل فيها اساءة إلى النبي الأعظم (ﷺ)، كما نجده في بعض الحالات يقوم بتأويل النص تأويلاً متكلفاً لا يتوافق مع ظاهره، كما نجده يحاول في بعض الروايات التي قد يُفهم منها الإساءة إلى النبي (ﷺ) تأويل بعض العبارات الموجودة في الرواية لكي يستقيم المعنى الذي يذهب اليه، حتى وان كان ما يذهب اليه لا يتناسب مع ظاهر النص، وفي بعض الروايات لا يتطرق الى هذه الاساءة اصلاً، كما نجد في بعض الاحيان أن ابن حجر نفسه يذهب بالرواية إلى معاني فيها اساءة إلى النبي (ﷺ) فبعض هذه المعاني تُخالف السنة الصحيحة والسيرة التاريخية لهؤلاء الصحابة كما هو الحال في تأويله لخروج السيدة عائشة زوج النبي (ﷺ) لحربِ الجمل وادعائه أن خروجها من أجل إيقاع الإصلاح بين الناس وأخذ القصاص من قتلةِ الخليفة الثالث، إلا أن الحقيقة تُخالف تماماً ما ذهب اليه في شرحه للحديث المذكور وهو ما سنتبينه في ثنايا هذ المبحث ان شاء الله.

اولاً : تحليل شرح روايات فضائل السيدة خديجة

قال ابن حجر في (باب تزويج النبي (ﷺ) خديجة وفضلها) : "تزوجها سنة خمس وعشرين من مولده في قول الجمهور، زوجه إياها أبوها خويلد ذكره البهيقي[١] من حديث الزهري بإسناده من عمار بن ياسر، وقيل عمها عمرو بن أسد ذكره الكلبي[٢]، وقيل اخوها عمرو بن خويلد ذكره بن إسحاق"[٣].

وروى الكليني عن علي بن الحسين عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : "لما أراد رسول الله (ﷺ) أن يتزوج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتى دخل على ورقة بن نوفل عم خديجة، فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال: الحمد لرب هذا البيت، الذي جعلنا

من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثم أنّ ابن أخي هذا – يعني رسول الله (ﷺ) – ممن لا يوزن برجلٍ من قريش إلا رجح به ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه ولا عدل له في الخلق وإن كان مقلاً في المال، فإن المال رفد جارٍ، وظلٌ زائل، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها والمهر عليَّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجلهو وله ورب هذا البيت حظٌ عظيم، ودين شائع ورأي كامل، ثم سكت أبو طالب وتكلم عمها وتلجلج وقصر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبهر وكان رجلاً من القسيسين، فقالت خديجة مبتدئة : يا عماه إنك وإن كنت أولى بنفسي مني في الشهود فلست أولى بي من نفسي، قد زوجتك يا محمد نفسي، والمهر عليَّ في مالي فأمر عمك فلينحر ناقة فليولم بها وادخل على أهلك، قال أبو طالب: أشهدوا عليها بقبولها محمداً وضمانها المهر في مالها، فقال بعض قريش : يا عجباه المهر على النساء للرجال! فغضب أبو طالب غضباً شديداً وقام على قدميه وكان ممن يهابه الرجال ويكره غضبه، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر وإذا كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالي، ونحر أبو طالب ناقة ودخل رسول الله (ﷺ) بأهله"[٤].

وذكر في السيرة الحلبية "أن خديجة قالت للنبي (ﷺ) : اذهب إلى عمك فقل له تعجل إلينا بالغداة، فلما جاءها ومعه رسول الله (ﷺ) قالت له : يا أبا طالب تدخل على عمي فكلمه يزوجني من ابن أخيك محمد بن عبد الله، فقال أبو طالب : يا خديجة لا تستهزئي، فقالت : هذا صنع الله، فقام فذهب وجاء مع عشرة من قومه إلى عمها، وفي رواية ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر. ولا مخالفة لجواز أن يكون المراد ببني هاشم أولئك العشرة، وأنهم كانوا هم المراد برؤساء مضر في ذلك الوقت"[٥].

وقال ايضاً : "ذكر أبو الحسين ابن فارس وغيره أن أبا طالب خطب يومئذ فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسمعيل، وضئضيء معدّ : أي معدنه، وعنصر مضر: أي أصله، وجعلنا حضنة بيته: أي المتكفلين بشأنه، وسوّاس حرمه: أي القائمين بخدمته، وجعله لنا بيتا محجوجا، وحرما آمنا، وجعلنا حكام الناس. ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا، وإن كان في المال قلّ، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، وعارية مسترجعة، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل، وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة، وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتي عشرة أوقية ونشا: أي وهو عشرون درهما والأوقية:

أربعون درهما، أي وكانت الأواقي والنش من ذهب كما قال المحب الطبري: أي فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعي. وقيل أصدقها عشرين بكرة"[٦].

ومن نافِلة القول أن ابن حجر لم يذكر مراسيم هذه الخطبة كما أنه لم يذكر أن ابا طالب هو الذي خطبها للنبي (ﷺ)، بينما نجده ذكر تفاصيل خطبة السيدة عائشة بتفاصيلها.

روى البخاري في باب قصة خديجة وفضلها عن مسدد عن يحيى عن إسماعيل قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى : "بشرَ النبي (ﷺ) خديجة ؟ قال : نعم ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب"[٧].

قال ابن حجر في شرح الحديث : "في القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر انابيبه وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها"[٨].

وقال ايضاً : "قال السهيلي : لذكر البيت معنى لطيف لأنها كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بُعث النبي (ﷺ) بيت إسلام الا بيتها وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضاً غيرها، قال وجزاء الفعل يذكر غالباً بلفظه وان كان اشرف منه فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر، وفي ذكر البيت معنى اخر لان مرجع أهل بيت النبي (ﷺ) إليها لما ثبت في تفسير قوله تعالى:{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ}[٩] قالت أم سلمة : (لما نزلت دعا النبي (ﷺ) فاطمة وعلياً والحسن والحسين فجللهم بكساء، فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي)[١٠]، الحديث، أخرجه الترمذي وغيره، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة لأن الحسنين من فاطمة وفاطمة بنتها وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير، ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها"[١١].

وقد اجاد ابن حجر في ما ذهب اليه في معنى البيت وهي تدلُ على فطنتهِ وقراءتهِ للألفاظ بصورة مختلفة عما سبقه اليه من الشُراح.

ثانياً : تحليل شرح روايات فضائل السيدة عائشة

روى البخاري في باب (قول النبي (ﷺ) لو كنت متخذاً خليلاً) عن قتيبة بن سعيد عن مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن ابيه عن عائشة إنها قالت : "خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله (ﷺ) على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس أبا بكر فقالوا : ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله (ﷺ)

وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء ؟ فجاء أبو بكر ورسول الله (ﷺ) واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال : حبست رسول الله (ﷺ) والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، قالت : فعاتبني وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله (ﷺ) على فخذي فنام رسول الله (ﷺ) حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال أسيد بن الحضير : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، فقالت عائشة : فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته"[١٢].

عدَّ ابن حَجَر هذا الحديث من الشواهد على فضائل آل أبي بكر، فقال عند تعرضه لشرح الحديث : "وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب التيمم والغرض منه قول اسيد بن الحضير في اخره ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر وقد تقدم هناك ذكر ألفاظ أخرى تدل على فضلهم"[١٣].

وقال في باب فضل عائشة : "الحديث السادس، حديث عائشة في قصة القلادة وقد تقدم شرحه مستوفى في أول كتاب التيمم، قال ابن التين ليست هذه اللفظة محفوظة يعني أنهم اتوا بالعقد، أي إن المحفوظ قولها فأثرنا البعير فوجدنا العقد"[١٤]. ولابد لنا من الرجوع إلى كتاب التيمم لنقف على ما قاله فيه.

إذ قال في معنى ما هي بأول بركتكم يا ال ابي بكر : "أي بل هي مسبوقة بغيرها من البركات، والمراد بآل أبي بكر نفسه وأهله وأتباعه، وفيه دليل على فضل عائشة وأبيها وتكرار البركة منهما، وفي رواية عمرو بن الحارث لقد بارك الله للناس فيكم[١٥]، وفي تفسير إسحاق البستي[١٦] من طريق بن أبي مليكة عنها أن النبي (ﷺ) قال لها : "ما كان أعظم بركة قلادتك، وفي رواية هشام بن عروة[١٧] فوالله ما نزل بك من أمر تكرهينه الا جعل الله للمسلمين فيه خيرا [١٨].

وقد وافقه فيما ذهب اليه بدر الدين العيني في عمدة القاري[١٩]، وتبعهما في ذلك القسطلاني في ارشاد الساري[٢٠].

ووجه الفضل في الرواية حسب رأي ابن حجر ومن وافقه في ذلك أن هذه الواقعة تُعد سبباً لنزول آية التيمم : {وإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا}[٢١].

وإذا ما نظرنا إلى الحديث نظرة حيادية بعيداً عن التعصب نجد أن هناك مبالغة من الرواة في ايراد هذه الروايات ومبالغة اكبر في شرح معانيها من قِبل الشُراح والسبب في ذلك يعود إلى محاولة الإكثار من روايات الفضائل للصحابة.

ويرى بعض الباحثين المعاصرين إن هذا الحديث من الاحاديث المسيئة إلى النبي (ﷺ)،

وردَّ عليه من طريق عرضه على العقل، لأن الرواية لا يمكن القبول بها عقلاً "فهل يعقل أن يقوم النبي (ﷺ) بإيقاف الجيش للبحث عن عقد عائشة الضائع، بل أنه اوقفهم وهم ليس لديهم ماء وفي منطقة ليس فيها ماء"[٢٢]، فضلاً عن نومه على فخذ السيدة عائشة. إذ لم يؤثر عن النبي(ﷺ) ولو لمرة واحدة أن غرر بأصحابه أو عرضهم لخطر من الأخطار، بل كان (ﷺ) دائماً يحرص على حياتهم ومصالحهم ومنافعهم.

ويرى الباحث أن هذه الرواية تدخل تحت عنوان الإضرار بمصالح المسلمين، إذ كيف يأمر (ﷺ) الجيش بالتوقف عن المسير وينزله في قفر من دون ماء لأجل عقد ببعض دريهمات.

ويؤيده ما ذكره أحد المعاصرين في مورد تحليل ونقد متن هذه الرواية ما نصه : "لم نسمع أن النبي (ﷺ) خرج في سفرة (نزهة)، وإنما كان أكثر خروجه جهاداً في سبيل الله، أو للعمرة في البيت، سنة منعته قريش وانتهى الأمر إلى صلح الحديبية، ثم في حجة الوداع، وبالتالي فإن ما خرج إليه النبي (ﷺ) وأصحابه أهم بكثير من أن يوقف لأجل عقد أم المؤمنين"[٢٣].

فالرواية من شأنها أن تعد انتقاصاً من قدر النبي (ﷺ) ورفع شأن عائشة على أساس أنها فضيلة تضاف الى فضائل آل ابي بكر فالرواية "تستمر في الذهاب بعيداً في الرفع من شأن أم المؤمنين وخفض شأن النبي (ﷺ)، فهو (ﷺ) لم يكتف بحبس الناس حتى يلتمسوا لزوجته العقد وهو يبحث معهم أو يوجههم – طالما أن العقد بهذه الأهمية – أو حتى يستغل الوقت لبحث بعض الأمور مع صحبه، ولكن ينعم بالنوم على فخذ زوجته ... وتحصل المفاجأة وإذا بالعقد تحت البعير الذي كانت عليه السيدة عائشة ! وكأنه لم يكن في القوم رجل حصيف يفتش أول ما يفتش بالقرب منها ثم يأخذ بالبحث أبعد كما هو شأن جميع العقلاء"[٢٤]. وبهذا يتضح وجه الاساءة الى النبي (ﷺ) في هذا الحديث.

ولابد من الاشارة إلى أن البخاري قد اورد حديث ضياع العقد في باب فضل عائشة ايضاً مع وجود اختلاف في القصة ولم يقُم ابن حجر بشرح المراد من الحديث في الفضائل، لأنه قد بين المراد منه في كتاب التيمم وهو ما فعله العيني[٢٥] ايضاً في شرحه لكتاب البخاري.

روى البخاري في (باب فضل عائشة) عن محمد بن بشار عن غُندر عن شعبة عن الحكم عن أبي وائل قال : "لما بعث علي عماراً والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم خطب عمار فقال : إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها"[٢٦].

قال ابن حجر في عذر السيدة عائشة بخروجها على الأمام علي في حرب الجمل : "قوله في الحديث لتتبعوه أو إياها، قيل الضمير لعلي لأنه الذي كان عمار يدعو إليه والذي يظهر أنه لله،

والمراد باتباع الله اتباع حكمه الشرعي في طاعة الامام وعدم الخروج عليه، ولعله أشار إلى قوله تعالى : {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}[٢٧]، فإنه أمر حقيقي خوطب به أزواج النبي (ﷺ)، ولهذا كانت أم سلمة تقول لا يحركني ظهر بعير حتى ألقى النبي (ﷺ)، والعذر في ذلك عن عائشة أنها كانت متأولة هي وطلحة والزبير وكان مرادهم إيقاع الإصلاح بين الناس وأخذ القصاص من قتلة عثمان! وكان رأي علي الاجتماع على الطاعة وطلب أولياء المقتول القصاص ممن يثبت عليه القتل بشروطه"[٢٨].

ويعُد كثيرٌ من الأعلام هذا التأويل لما حدث في الجمل من التأويلات التي تخالف الحقائق التاريخية فأي صلح هذا الذي يريده هؤلاء وهم يسيرون بثلاثة الاف مقاتل إلى البصرة؟! فهذا العدد من المقاتلين يُثبت أن هذا الجيش كان هدفه الحرب لا محاولة الاصلاح كما يصوره هؤلاء. إذ ما آلت اليه هذه المعركة من القتلى والجرحى وإثارة النعرات تفوق كثيراً الهدف الذي خرجت من أجله أم المؤمنين وهو الإصلاح كما يدعي هؤلاء، إذ كيف يتصور الإصلاح بإزهاق أنفس المسلمين وشق عصا طاعة وليّ الأمر ومخالفة نص الكتاب لقوله عز وجل : {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}[٢٩]، إذ أن السيدة عائشة خرجت هذا الخروج من بيتها الذي أمرها الله أن تقر فيه، وكان خروجها على قعود[٣٠] من الإبل، تقود ثلاثة آلاف نفر من الناس، وفيهم – بكل أسف – طلحة والزبير، وقد نكثا البيعة، فكان هذا الجيش يعلو الجبال، ويهبط الأودية، ويجوب الفيافي ويقطع المفاوز والقفار[٣١]، حتى أتى البصرة **وحدث ما حدث** بعد ذلك[٣٢].

وقد أخبر النبي (ﷺ) السيدة عائشة بخروجها هذا وحذرها منه فقال لها : "ليت شعري أيتكُن صاحبة الجمل الأديب[٣٣] تسير حتى تنبحها كلاب الحوأب[٣٤]، يُقتل عن يمينها وعن يسارها خلق كثير"[٣٥].

وذكر ابن ابي الحديد المعتزلي أنه : "لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة، طرقت ماء الحوأب، وهو ماء لبنى عامر بن صعصعة، فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب إبلهم، فقال قائل منهم : لعن الله الحوأب فما أكثر كلابها فلما سمعت عائشة ذكر الحوأب، قالت: أهذا ماء الحوأب ؟ قالوا : نعم، فقالت : ردوني ردوني. فسألوها ما شأنها ؟ ما بدا لها ؟ فقالت : إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : (كأنى بكلاب ماء يدعى الحوأب، قد نبحت بعض نسائي) ثم قال لي : (إياك يا حميراء أن تكونيها) فقال لها الزبير: مهلاً يرحمك الله، فإنا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة، فقالت : أعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب؟ فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعلا لهم جعلاً، فحلفوا لها،

وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوأب، فكانت هذه أول شهادة زور في الاسلام، فسارت عائشة لوجهها"[٣٦].

ويرى الباحث أنْ ذكر بعضهم نباح كلاب الحوأب التي حذرها منها رسول الله (ﷺ) يُعد سبباً كافياً لرجوعها عن الحرب حتى وأن كانت غير مُتأكدة من المكان، إذ الأولى بها قبل سماعها نباح كلاب الحوأب أن تتمثل إلى قول ربها جلَّ وعلا حينما أمرها وباقي أمهات المؤمنين بالإقرار في بيوتهن، وكان حريٌ بطلحة والزبير أن يمتثلا إلى خطابات الله عز وجل وخطابات رسوله الكريم (ﷺ) بأن يقبضا ايديهما عن دماء المسلمين، إذ أنهما اغتالا عثمان بن حنيف [والي الإمام علي على البصرة] في ليلة مظلمة فأوطاؤه الأرجل فضربوه أربعين سوطاً وانتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه، وما منعهم من قتله إلا غضب الأنصار بالمدينة[٣٧].

ويذكر بعض المؤلفين المعاصرين أن طلحة كان من المحرضين على قتل الخليفة الثالث، بل أنه كان يجمع الثوار في بيته، حتى أن الإمام علي (عليه السلام) رأى مرة عنده حشداً عظيماً من الثائرين[٣٨]، وكان عثمان يقول في ايام الحصار : اللهم اكفني طلحة فانه حمل عليَّ هؤلاء وألبهم، والله إني لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يسفك دمه أنه انتهك مني ما لا يحل له[٣٩].

وقال ايضاً : "ويلى على ابن الحضرمية – يعنى طلحة – أعطيته كذا وكذا بهاراً[٤٠] ذهباً، وهو يروم دمي يحرض على نفسي، اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه"[٤١].

قال ابن ابي الحديد : "وقد كان طلحة حين قُتلَ عثمان أخذ مفاتيح بيت المال، وأخذ نجائب[٤٢] كانت لعثمان في داره من ابل الصدقة، ثم فسد أمره، فدفعها إلى علي بن أبى طالب (عليه السلام)"[٤٣]، "وروى الناس الذين صنفوا في واقعة الدار أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعاً بثوب قد استتر به عن أعين الناس، يرمى الدار بالسهام"[٤٤] .

أما الزبير وهو ايضاً أحد العشرة المبشرين، فيروى أنه لم يكن له نشاط ملحوظ في رد الثائرين على عثمان وإن هواه كان معهم، بل أنه كان يميل إلى التخلص من عثمان لعل الأمر يصير اليه من بعده، وقد صارح الإمام علي (عليه السلام) يوم التقاه قبيل معركة الجمل بأنه يريد الأمر لنفسه عندما سأله الإمام (عليه السلام) عن سبب قدومه، فقال له الزبير : أنت، ولا أراك لهذا الأمر اهلاً ولا أولى بها منا[٤٥].

وهناك من يرى أن دور الزبير في قتل عُثمان لم يكن اقل تأثيراً من دور طلحة، فقد روي أنه كان يقول : اقتلوه فقد بدل دينكم، فقالوا : إن ابنك يحامى عنه بالباب، فقال : ما أكره أن يُقتل

عُثمان ولو بدئ بابني، أن عثمان لجيفة على الصراط غداً[٤٦].

قال في الجمل : "لما أبى عثمان أن يخلع نفسه تولى طلحة والزبير حصاره والناس معهما على ذلك فحصروه حصراً شديداً ومنعوه الماء وأنفذ إلى علي يقول إن طلحة والزبير قد قتلاَني من العطش، حتى أنه نادى الناس بأن يسقوه شربة من الماء والطعام فقال له الزبير: يا نعثل لا والله لا تذوقه"[٤٧]. وذكر بعض المؤلفين : إن أشد الناس على عثمان طلحة والزبير وعائشة[٤٨].

فهذا هو موقف طلحة والزبير من حادثة قتل عُثمان، علماً أنهما من العشرة المبشرين بالجنة حسب الروايات الواردة في بعض جوامع ومؤلفات أهل السنة، وقد خرج هؤلاء بعد اشتراكهم في قتل عثمان حسبما جاء في بعض المُصنفات إلى مُحاربة الإمام علي وهو ايضاً من العشرة المبشرين بالجنة.

قال في الجمل بعد أن ذكر مجموعة من الروايات التي تبين تحريض القوم على قتل عُثمان واشتراك بعضهم في ذلك قال : "فهذه الأحاديث في جملة كثيرة في هذا المعنى وهي كاشفة عما ذكرناه من أدغال القوم من التظاهر بطلب دم عُثمان وهم تولوا سفكه ولم يظهر أحد منهم إلا الذم عليه ولما بايع الناس علياً أظهروا الندم على ما فرط منهم وقرفوا بما صنعوا وأثاروا الفتنة التي رجع عليهم ما كانوا املوه فيها منه"[٤٩].

وخلاصة القول في خروج هؤلاء ما رواه ابن ابي الحديد من خطبة للإمام علي قال فيها : أيها الناس إن طلحة والزبير سارا إلى البصرة، وكل منهما يرى الامر له دون صاحبه، ولن ينالوا ذلك[٥٠].

ولعل في ما تقدم من نصوص يؤكد أن نظرية عدالة الصحابة بُنيت على جرف هارٍ وأنها لا تصمد أمام كثير من الحوادث والوقائع التي كانت قبل نشوب هذه المعركة أو ما كان بعدها، إذ كيف تصل عدالة الصحابي إلى محاربة اخيه الصحابي كما حدث لعثمان بن عفان وغيره، أم كيف يسوغ للمسلم نهب ممتلكات المسلمين وأموالهم أو نتف لحاهم وتقريعهم بالسوط كما جرى ذلك مع عثمان بن حنيف؟ اللهم إلا أن يكون ذلك من باب التأويل والاجتهاد الذي فتح الباب مُشرعة على انتهاك حُرمات الله سبحانه وحُرمات المؤمنين!!.

الهوامش:

(١) ظ : دلائل النبوة : ٦٩/٢

(٢) ظ جمهرة أنساب العرب : ٧٤/١

(٣) فتح الباري : العسقلاني، ١٣٤/٧

(٤) الكافي : ٣٧٤/٥

(٥) السيرة الحلبية : الحلبي، ٢٠١/١

(٦) المصدر نفسه

(٧) الجامع الصحيح : ٣٩/٥

(٨) فتح الباري : ١٣٨/٧

(٩) الاحزاب : الآية ٣٣

(١٠) ظ : سنن الترمذي، ٢٠٤/٥

(١١) فتح الباري : ١٣٨/٧

(١٢) الجامع الصحيح : ٧/٥

(١٣) فتح الباري : ٣٤/٧

(١٤) المصدر نفسه : ١٠٨/٧

(١٥) ظ : الجامع الصحيح : البخاري، ٥١/٦

(١٦) هو مُحَمَّدَ بنَ الصَّبَّاحِ البَزَّارَ وَطَبَقَتَهُ، وَهُوَ مَنْسُوْبٌ إِلَى مَدِيْنَةِ بُسْتَ (١) مِنْ إِقْلِيمِ سِجِسْتَان وَرَاءَ نَاحِيَةِ هَرَاةَ حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو حَاتِمٍ بنُ حِبَّانَ البُسْتِيُّ وَغَيْرُهُ.

(ت٣٠٧هـ) ظ : سير اعلام النبلاء : الذهبي، ١٤٠/١٤

شذرات الذهب : ابن العماد، ١٩/٤

(١٧) ظ : المصدر السابق : ٧٤/١

(١٨) ظ : فتح الباري، ٤٣٤/١

(١٩) ظ : عمدة القاري : ٨/٤

(٢٠) ظ : ارشاد الساري : ٩٤/٦

(٢١) النساء : الآية ٤٣ ، المائد : الآية ٦

(٢٢) العودة الى الاصل : غسان نعمان ماهر، ٤٠/٢

(٢٣) العودة الى الاصل : غسان نعمان ماهر، ٤٠/٢

(٢٤) المصدر نفسه، ٤٠/٢

(٢٥) ظ : عمدة القاري، ١٨٧/١٦ ، ٢٥٢، ظ شرح الحديث في كتاب التيمم ، ٣/٤

(٢٦) الجامع الصحيح : ٢٩/٥

(٢٧) الاحزاب : الآية ٣٣

(٢٨) فتح الباري : ١٠٨/٧

(٢٩) الاحزاب : الآية ٣٣

(٣٠) القَعُود من الإبل، مَا أَمْكَن أَنْ يُرْكَبَ، وأَدْنَاه أَن يَكُون لَهُ سَنَتَانِ، ثمَّ هود قَعُودٌ إِلى أَن يُثْنِيَ فيَدْخُل فِي السَّنَةِ السَّادِسَة، ثمَّ هُوَ جَمَلٌ. ظ : تاج العروس : الزبيدي، ٥٢/٩.

(٣١) الفَيْفُ المفازة التي لا ماء فيها مع الاستواء والسَّعة وإذا أُنِّثَت فهي الفَيْفاة وجمعها الفَيافي والفيفاء الصحراء المَلساء، وإذا كانت ليلتين لا ماء فيها فهي مَفازة وما زاد على ذلك كذلك، وأَما الليلة واليوم فلا يعدّ مَفازة، والقَفْرُ والقَفْرة الخلاءُ من الأَرض وجمعه قِفارٌ وقُفُورٌ قال الشَّمَّاخُ يَخُوضُ أَمامَهُنَّ الماءَ حتى تَبَيَّن أَن ساحَتَه قُفورُ وربما قالوا أَرَضُونَ قَفْرٌ ويقال أَرض قَفرٌ ومَفازة قَفْر وقَفْرة أَيضاً ويقل القَفْر مَفازة لا نبات بها ولا ماء وقالوا أَرض مِقْفار أَيضاً. ظ : لسان العرب : ابن منظور، ١٨١/١١ ، ٢٦٠/٧ ، ٤٢٢/٦.

(٣٢) النص والاجتهاد : عبد الحسين شرف الدين، ٤٢٤

(٣٣) كثير وبر الوجه. لسان العرب : ابن منظور، ٣٥٩/١

(٣٤) بالفتح ثم السكون، وهمزة مفتوحة، وباء موحدة، وأصله في اللغة، يقال: حافر حوأب وأب صعب، والحوأبة : العلبة الضخمة، والحوأب: الوادي الوسيع في هذه. والحوأب: موضع في طريق البصرة محاذي البقرة ماءه أيضا من مياههم، وقيل : ومن مياه أبي بكر بن

كلاب الحوأب، وهو من المياه الأعداد وقديم جاهليّ، وقيل الحوأب من مياه العرب على طريق البصرة، وقيل : سمي الحوأب بالحوأب بنت كلب بن وبرة، وهي أم تميم وبكر المعروف بالشعيراء، والحوأب موضع بئر نبحت كلابه على عائشة عند مقبلها إلى البصرة. ظ : معجم البلدان : ياقوت الحموي، ٣١٤/٢.

(٣٥) البداية والنهاية : ابن كثير، ٣١٦/٦ ، ظ : الكامل في التاريخ : ابن الاثير، ٥٧٣/٢ ، ظ : مسند احمد : احمد بن حنبل، ٢٩٩/٤٠

(٣٦) شرح نهج البلاغة : ٢٢٥/٦، ٣١٠/٩-٣١١ ، ظ : انساب الاشراف : البلاذري، ٢٤٤/٢ ، تذكرة الخواص : سبط بن الجوزي، ٦٨

(٣٧) ظ : تذكرة الخواص : سبط بن الجوزي، ٦٩

(٣٨) ظ : الامام علي صوت العدالة الانسانية : جورج جرداق، ٥٥٦

(٣٩) ظ : تاريخ الامم والملوك : الطبري، ٣٧٩/٤

(٤٠) البُهار الحِمْلُ وقيل هو ثلثماه رطل بالقبطية وقيل أربعمائة رطل وقيل ستمائة رطل عن أَبي عمرو وقيل أَلف رطل وقال غيره البهار بالضم شيء يوزن به وهو ثلثمائة رطل. ظ : لسان العرب : ابن منظور، ١٥١/٥.

(٤١) شرح نهج البلاغة : المعتزلي، ٣٥/٩

(٤٢) النَّجيبُ من الإبل والجمع النُّجُبُ والنَّجائبُ وقد تكرر في الحديث ذِكْرُ النَّجِيبِ من الإبل مفرداً ومجموعاً وهو القويُّ منها الخفيف السريع. ظ : المصدر السابق، ٢٤٥/٢.

(٤٣) المصدر السابق، ٢١٥/٦

(٤٤) المصدر نفسه، ٣٥/٩

(٤٥) ظ : تاريخ الامم والملوك : الطبري، ٥٠٨/٤ ، الامام علي صوت العدالة الانسانية : جورج جرداق، ٥٥٨

(٤٦) ظ : شرح نهج البلاغة : المعتزلي، ٣٦/٩

(٤٧) الجمل : المفيد، ٧٤- ٧٥

(٤٨) ظ : البدء والتاريخ : المطهر المقدسي، ٢١٨/٢ ، ظ : شرح نهج البلاغة : المعتزلي، ٢١٥/٦ ، ظ : انساب الاشراف: البلاذري، ٢٢٦/٢ ، ٥٠٦/٥

(٤٩) الجمل : المفيد، ٧٥

(٥٠) شرح نهج البلاغة : المعتزلي، ٢٣٣/١ ، الاربعين في حُب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : علي ابو معاش، ٣٢٢/٤

المصادر

❁ خيرُ ما نبتدئ به القرآن الكريم

١-الأربعين في حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : علي أبو معاش، دار الاعتصام – المطبعة العلمية – الطبعة الاولى – ١٤٢١هـ.

٢-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : شهاب الدين احمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، المطبعة الاميرية – الطبعة السابعة – ١٣٢٣هـ.

٣-الإمام علي (عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية : جورج سجعان جرداق (ت ٢٠١٤م)، دار الأندلس – النجف الأشرف – بيروت – لبنان – الطبعة الاولى – ٢٠١٠م.

٤-البدء والتاريخ : المطهر بن طاهر المقدسي (ت ٣٥٥هـ تقريباً)، تحقيق : خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الاولى – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٥-البداية والنهاية : ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق وتعليق : مجموعة من المحققين، دار ابن كثير – دمشق – بيروت – الطبعة الاولى – ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٦-تاج العروس من جواهر القاموس : ابو الفيض محمد بن عبد الرزاق مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق : عبد الكريم العزباوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – دولة الكويت – الطبعة الاولى – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٧-تاريخ الأمم والملوك : ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم – دار التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية – ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

٨-تذكرة خواص الأمة في خصائص الإئمة : ابو الفرج عبد الرحمن سبط بن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم، منشورات الشريف الرضي – قم – ايران – ١٤١٨هـ.

٩-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه، صحيح البخاري، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ.

١٠- جمل من أنساب الأشراف : احمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق : سهيل زكار – رياض زركلي، دار الفكر – بيروت – لبنان – الطبعة الاولى – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

١١- الجَمَل، النصرة في حرب البصرة : ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، المفيد (ت ٤١٣هـ)، الطبعة الاولى – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

١٢- جمهرة النسب : ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق : د. ناجب حسن، عالم الكتب – بيروت – الطبعة الاولى – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.

١٣- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة : أبو بكر أحمد بن الحسين بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٠٥ هـ.

١٤- سنن الترمذي، الجامع الكبير : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٩٨م.

١٥- سير أعلام النبلاء : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق : مجموعة من المحققين، إشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – الطبعة الثالثة – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١٦- السيرة الحلبية : إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون : علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤٢٧هـ.

١٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) ، تحقيق: محمود الأرناؤوط ، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط : دار ابن كثير،

دمشق – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

١٨- شرح نهج البلاغة : عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم : دار احياء الكتب العربية – الطبعة الاولى – ١٣٧٨هـ – ١٩٥٩م.

١٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري : بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد العيني (ت٨٥٥هـ)، ضبط وتصحيح : عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الاولى – ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٢٠- العودة إلى الأصل إلى آل محمد (ﷺ) : المستبصر غسان نعمان ماهر، مؤسسة الفجر – بيروت – لندن – الطبعة الاولى – ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٢١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : شهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق وتعليق : عبد القادر شيبة الحمد، مكتبة الملك فهد – الرياض – الطبعة الاولى – ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٢٢- الكافي : أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية طهران – الطبعة الثالثة – ١٣٨٨هـ.

٢٣- الكامل في التاريخ : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٢٤- لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على، ابن منظور الانصاري الإفريقى، المصري (ت ٧١١هـ)، وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد – المملكة العربية السعودية – اشراف : دار النوادر – الكويت – ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

٢٥- مسند أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف : عبد الله بن عبد المحسن التركي : مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى –١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٢٦- معجم البلدان : المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، دار صادر – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٩٥م.

٢٧- النص والاجتهاد : عبد الحسين شرف الدين الموسوي (ت ١٣٧٧هـ)، تحقيق : أبو مجتبى، مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام) – قم – الطبعة الأولى – ١٤٠٤هـ.